



تمر مهنة الشعب السوري حالياً في الوقت الدولي الضائع، بين إدارتين أميركيتين، رغم أن سياسات واشنطن، كما سياسات موسكو، باتت واضحة ومتّسقة، ولا يكدر انسجامها سوى الصمود الملحمي الأسطوري للشعب السوري بمدنيّيه وعسكريّيه المناوئين للنظام.

الفارق أن روسيا تريد فعلاً رؤية النظام قادرًا على حسم الموقف لمصلحته، تمدّ بالأسلحة أملًا بأن يمضي بوحشته إلى أقصاها علّه يفلح أخيراً في تغيير «مناخ» الأزمة فيصار عنده إلى الضغط على المعارضة لترضخ وتحاوره.

أما الولايات المتحدة فلم تعد ترغب في تقدم المعارضة إلى حد أنها لجمت كل مساعدة يمكن أن تصلها، ويتبّع من خطاب باراك أوباما يوم تنصيبه ومن شهادة وزير خارجيته الجديد جون كيري أن الأولوية الأميركيّة لإيران لا لسوريا.

أما أولوية إيران، في أي اتفاق محتمل بينها وبين أميركا، فهي إبقاء سيطرة النظام على كل سوريا أو على جزء منها. دعكم من الكلام المجاني الذي أدلّى به ديمتري ميدفيديف في دافوس، فهو مخصص للمناورة ولا يعني إطلاقاً أي تغيير، رغم قوله إن فرص بشار الأسد للاحتفاظ بالسلطة «تضاءل».

فال موقف الحقيقى هو ما يعلنه سيرغي لافروف.

و قبل ساعات كان نائب رئيس حكومة دمشق قدرى جميل يردّ مسبقاً على ميدفيديف بأن النظام لا يزال يتلقى أسلحة من

فـلـمـاـ تـسـلـيـحـ نـظـامـ تـضـاءـلـ فـرـصـهـ لـلـبـقاءـ،ـ وـمـعـرـوفـ سـلـفـاـ أـينـ تـسـتـخـدـمـ الأـسـلـحـةـ وـكـيـفـ؟ـ

لا مبالغة، إذًا، في اتهام روسيا بأنها متواطئة مع المجرم وشريكه في قتل السوريين، بل تستخدم كل نفوذها الدولي لتحقّصه من أي محاسبة في المحكمة الجنائية الدولية.

قبل شهور كانت اللغة «الشبيحية» جعلت لافروف يردد مراراً أن ما يفاقم الأزمة ويحول دون الانتقال إلى حل سياسي هو الدعم المالي والعسكري الذي تقدمه دول إقليمية إلى المعارضة، لكن أفضل ما سمع من ميدفيديف أن الأسد «ارتكب خطأً فادحاً قد يكون قاضياً» عندما تجاهل مطالب المعارضة السلمية في بدايات الثورة.

هذا الخطأ تبعته سلسلة خطايا لم تعرف بها موسكو وفضّلت مساندته رغم أن فرص جدواها تضائل أيضًا. لكن، ها هي واشنطن استطاعت أن تفرمل كل دعم للمعارضة، تلبية لشروط الروس والنظام، وتسهيلًا لـ«الحل السياسي»، فـأـينـ هـذـاـ حـلـ؟ـ

أـهـوـ فـيـ الخـطـةـ التـيـ عـرـضـهـ الأـسـدـ فـيـ خـطـابـهـ الأـوـبـرـالـيـ؟ـ

هـذـاـ مـجـرـدـ عـبـثـ دـمـوـيـ،ـ وـهـذـهـ «ـالـخـطـةـ»ـ التـيـ اـعـتـبـرـتـهاـ مـوـسـكـوـ «ـأـسـاسـاـ جـيـداـ لـلـحـلـ»ـ هـيـ بـدـورـهـاـ فـيـ سـيـاقـ «ـالـخـطـأـ الـفـادـحـ»ـ الـذـيـ أـشـارـ إـلـيـهـ مـيـدـفـيـدـيـفـ.

أـمـ أـنـ الـحـلـ مـمـكـنـ فـقـطـ إـذـاـ اـسـتـسـلـمـ الشـعـبـ؟ـ

وـفـيـ هـذـهـ حـالـ مـاـ الـحـاجـةـ إـلـىـ مـوـسـكـوـ،ـ وـطـالـمـاـ أـنـهـ لـنـ يـسـتـسـلـمـ فـمـاـ الـحـكـمـةـ مـنـ الـاعـتـمـادـ الـأـمـيـرـكـيـ عـلـىـ رـوـسـيـاـ.ـ لـمـ يـسـتـطـعـ أـحـدـ أـنـ يـشـرـحـ لـلـسـوـرـيـنـ مـاـ الـذـيـ يـجـعـلـ رـوـسـيـاـ ذـاتـ صـفـةـ فـيـ «ـقـيـادـةـ»ـ حـلـ سـيـاسـيـ أـوـ حـتـىـ فـيـ مـسـاـعـدـةـ (ـمـاـنـ؟ـ)

عـلـىـ إـطـلـاقـهـ،ـ فـهـيـ لـاـ تـحـاـوـرـ سـوـىـ النـظـامـ وـمـنـ يـتـعـاـمـلـ مـعـهـ أـوـ يـهـادـنـهـ،ـ ثـمـ أـنـ تـرـاثـهـ الشـيشـانـيـ أـوـ حـتـىـ الـرـوـسـيـ لـيـسـ بـرـاـفـاـ بـدـيمـوـقـراـطـيـتـهـ.

استطراداً، كـيـفـ يـمـكـنـ لـلـقـتـلـةـ الـثـلـاثـةـ،ـ النـظـامـ وـحـلـيفـهـ الـرـوـسـيـ وـالـإـيـرـانـيـ،ـ أـنـ يـكـوـنـواـ عـرـابـيـ الـحـلـ؟ـ

وـمـاـ دـامـوـاـ لـاـ يـطـرـحـونـ سـوـىـ خـطـطـ لـإـنـقـاذـ النـظـامـ وـإـبـقـائـهـ،ـ فـمـاـ هـوـ دـافـعـ أـمـيـرـكـاـ لـتـرـجـيـحـ حلـوـلـ مـكـشـوـفـةـ كـهـذـهـ؟ـ..ـ

هـذـهـ الـأـطـرـافـ جـمـيـعـاـ مـطـالـبـةـ بـإـفـصـاحـ عـنـ نـيـاتـهـاـ،ـ فـلـاـ حـلـفـاءـ النـظـامـ حـلـفـاؤـهـ،ـ وـلـاـ أـصـدـقـاءـ الـشـعـبـ أـصـدـقـاؤـهـ.

إـنـهـمـ يـتـعـاـمـلـونـ جـمـيـعـاـ مـعـ سـوـرـيـةـ عـلـىـ أـنـهـاـ وـقـعـتـ،ـ وـأـنـ خـرـيـطـهـاـ آـيـلـةـ إـلـىـ تـغـيـرـ جـرـاحـيـ،ـ لـذـكـ لـاـ بـدـ لـهـمـ أـنـ يـوـضـحـوـاـ مـاـ يـعـنـونـ فـعـلـاـ حـيـنـ يـتـحـدـثـوـنـ عـنـ حلـوـلـ.

أـهـوـ تـقـاسـمـ لـلـنـفـوذـ فـيـ مـاـ بـيـنـهـمـ،ـ أـوـ تـقـسـيمـ لـسـوـرـيـةـ بـذـرـعـةـ حـمـاـيـةـ الـأـقـلـيـاتـ وـالـحـوـوـلـ دـوـنـ المـذـابـحـ،ـ أـوـ مـجـرـدـ حـرـبـ عـلـىـ تـنـظـيمـ «ـالـقـاعـدـةـ»ـ؟ـ

مـنـ يـبـحـثـ عـنـ حـلـ يـحـافـظـ عـلـىـ وـحدـةـ سـوـرـيـةـ شـعـبـاـ وـدـوـلـةـ وـجـيـشـاـ وـأـرـضـاـ وـمـؤـسـسـاتـ –ـ عـلـىـ اـفـتـرـاـضـ أـنـ هـذـاـ هـدـفـ «ـالـتـفـاـهمـ»ـ الـأـمـيـرـكـيـ –ـ الـرـوـسـيـ –ـ لـاـ بـدـ أـنـ يـكـوـنـ قـدـ تـفـطـنـ لـاـسـتـخـدـمـ كـلـ الـوـسـائـلـ لـإـلـزـامـ النـظـامـ الـامـتـنـاعـ عـنـ القـتـلـ بـدـلـ إـعـطـائـهـ الـفـرـصـ لـاـسـتـنـسـاخـ مـجـازـ رـاـوـنـدـاـ وـكـمـبـودـيـاـ بـكـلـ هـمـجـيـتـهـاـ،ـ وـلـرـدـعـهـ عـنـ التـدـمـيرـ الـمـنـهـجـيـ لـلـعـمـرـانـ وـالـقـضـادـ كـمـاـ لـوـ أـنـهـ عـدـوـ مـحـتـلـ أـوـ أـنـ هـذـهـ المـدـنـ لـمـ تـكـنـ يـوـمـاـ مـدـنـهـ.

بـلـ الـأـهـمـ أـنـ مـنـ يـبـحـثـ عـنـ حـلـ،ـ الـآنـ وـبـعـدـ كـلـ هـذـاـ الـخـرـابـ،ـ لـاـ بـدـ أـنـ يـتـفـطـنـ إـلـىـ أـنـ النـظـامـ اـنـقـلـ إـلـىـ الـمـرـحـلـةـ الـأـكـثـرـ قـذـارـةـ فـيـ مـؤـامـرـتـهـ عـلـىـ سـوـرـيـةـ وـشـعـبـهـاـ:ـ فـبـعـدـ قـتـلـ سـلـمـيـةـ الـثـورـةـ،ـ وـاـسـتـبـاحـةـ الـبـيـوتـ وـالـأـعـرـاضـ،ـ وـاجـتـيـاحـ الـمـدـنـ،ـ وـاـسـتـفـزـازـ الـعـسـكـرـةـ وـفـرـضـهـاـ،ـ ثـمـ الـاـسـتـنـجـادـ بـالـإـرـهـابـ،ـ هـاـ هـوـ يـدـفـعـ بـمـاـ يـسـمـيـ «ـجـيـشـ الـدـافـعـ الشـعـبـيـ»ـ لـلـشـروعـ فـيـ إـشـعـالـ تـدـريـجيـ لـ«ـالـحـرـبـ الـأـهـلـيـةـ»ـ.

خلافاً لما يتظاهر به النظام، ولأن عدم انتصاره هو هزيمة كما أن عدم هزيمة الشعب هو انتصار فإن الذهاب إلى هذا الخيار يشي بি�أسه من أي حسم يهديه إلى الحلفاء الروس أو الإيرانيين، ذاك أن أحداً لا ينتصر في الحرب الأهلية. لكن «ميزة» هذه الحرب أنها تتيح «التطهير العرقي/ الطائفي» وتحتاج النظام فرصة رسم الحدود التي يريدها لـ «الدولة العلوية» ومن أجلها يقاتل الآن في حمص ودمشق.

والأهم أن «حرب المهزومين» تبرر فتح خريطة البلد لإعادة النظر في توزع السكان والمناطق، خصوصاً مع استعفاء الحلول المبنية على «توافق وطني».

لا شيء يمكن توقعه من حرب تطول وتُرغَم إرغاماً على أن تصبح «أهلية» سوى السعي إلى التقسيم. هذا خبر جيد لإسرائيل وإيران، مع اختلاف دوافعهما.

وإذا كانت الأولى باتت تُسمع صوتها في الأزمة السورية فقط من باب «استخدام السلاح الكيماوي»، فإن الإشارات التي تطلقها الثانية باتت أكثر وضوحاً في تحديد أهدافها.

فعندما تحدث الأمين العام لـ «حزب الله» عن تصاعد «مخاطر» التقسيم في المنطقة لم يكن يحذر مما يرفضه وإنما كان يبلغ من يعنهم الأمر بأن إيران باتت جاهزةً لقبول مثل هذا الاحتمال، في سوريا وحتى في العراق، بعدما أبدت سابقاً رفضاً مبدئياً له حتى لو كان له أن يحصل في إطار «الفيدرالية».

هناك خيار واحد مقبول، بالنسبة إلى إيران، وهو البقاء في سوريا، أكان ذلك عبر سيطرة كاملة للنظام على كل سوريا مهما بلغت الكلفة الدموية أو عبر سيطرته على جزء من سوريا.

فالحرب الدائرة حالياً هي، عند إيران، حرب شيعية - سنية أصبح لها امتداد عراقي وإذا اقتضت المصلحة يمكن أن يكون لها امتداد لبناني، بل تركي.

وبالتالي لم يبق لإيران من هذا النظام السوري سوى بعده المذهبي، وهذا سبب كافٍ لأن تعلن أن أي اعتداء عليه بمثابة اعتداء عليها.

ليس صدفة أن الجماعات الغربية التي طلب منها بعض أطراف عائلة الأسد درس سيناريوهات إقامة «الدولة العلوية» يوجد في مجالس إداراتها يهود قربون من إسرائيل.

وليس صدفة أن يُنقل عن هذه الجماعات أن تلك «الدولة» يمكن أن تعيش فقط بتوافق إيران وإسرائيل على ضمانها حمايةً واستثماراً وتسويقاً دولياً.

فمثل هذا التوافق، غير المستبعد، يمكن أن يستدرج ضماناً روسياً - أميركياً ويسهله.

كانت دراسات كثيرة أشارت إلى أن تفتت المنطقة دوياً من التموحات والمشاريع التي لا تغيب عن التخطيط الإسرائيلي.

واليأس أصبحت إيران تغازل هذه الاستراتيجية طالما أنها تلبي متطلبات نفوذها.

المصادر: